باب

التاريخ والاجتماع

بشائر الفتح المصري

للدكتور اسد رستم

نهج ابراهيم باشا المصري سبيل بونابارته في حروبه في مصر وسورية فسلك طريقته في فتح فلسطين وقفا إثره في حصار عكة . ويقول المؤرخ الافرنسي المعاصر ده فولابال ان الفاتح المصري لم يقف عند هذا الحد في الاقتداء به بل انه جرى على منهاج الافرنسي الكبير في مناشيره واخباره فالحق بعسكره في سورية مطبعة لاذاعة الانتصارات في الانحاء والاقطار ولا سيما القطر المكتسح آنئذٍ وان هذه المناشير والاخبار الرسمية كانت تطبع باللغتين العربية والتركية وتترجم للافرنسية ترجمة رسمية في المعسكر نفسه[1] .

نقول حاولنا مراراً في الماضي ان نقف على بعض هذه المناشير العربية المطبوعة فأخفقنا ورُددنا بالخيبة . ومع اننا لا نزال محدودين في امرها محرومين المطلب فاننا ظفرنا منذ عهد قريب ببعض المخطوط من نوعها لدى حضرة الوجيه الفاضل ابراهيم بك عبد الهادي في نابلس فلسطين وفي سجل المحكمة الشرعية بمدينة طرابلس وفي

(١) اطلب كتابه في تاريخ مصر الحديث (طبع باريز سنة ١٨٣٠ — ١٨٣٦) ج ٢ ص ٤٢٦ — ٤٢٧ وص ٤٤١ — ٤٤٢ . واطلب ايضاً بعض هذه المناشير بالافرنسية في اخر كتاب ادوار غوان — مصر في القرن التاسع عشر — وكتاب كاد الفان و بارو عن حرب محمد علي باشا في سورية وبر الاناضول . راجع كذلك رواية الدكتور مخائيل مشاقة في مخطوطته المشهورة كما نشرناها في رسالتنا عن عكة واستحكاماتها في عهد ابراهيم باشا ص ٥٥ . وما جاء في مخطوطة القس بطرس حبيش — المجلة السورية ج ٥ . اما الوقائع المصرية فاننا لا نعرف منها شيئاً يرجع الى هذا العهد — اطلب كلام توفيق بك اسكاروس في مجلة الهلال ج ٢٨ ص ٩١٩

قنصلية بريطانية في بيروت وفي مكتبة الاباء اليسوعيين في البلدة نفسها . وها اننا ننشر الان بعض ما وجدناه من هذه الرسائل الرسمية المخطوطة تعميماً لفائدتها التاريخية وحرصاً عليها من الضياع

يوم الزراعة : فخر المشايخ المكرمين اخينا الشيخ حسين[٢] حفظه الله تعالى قبل الان عرفناكم عن حلول ركاب سعادة افندينا ولي النعم السر عسكر المعظم في مدينة حمص وان مصمم سعادته على القيام الى حماه لاجل تنكيل وتدمير الاعدا غير ان بعدم وجود الذخيرة مع سعادته ولعدم وجودها في حمص صدره امره الكريم الى جناب الاخ الامير قاسم الشهابي بارسال ذخيرة من الذخاير الموجودة في زحله الى بعلبك وتحرك ركابه الشريف من حمص لجهت بعلبك لاجل اخذ الذخاير اللازمة والتوجه لجهت حماه لضرب الاعدا فمن بعد حركت الركاب من حمص بلغ الاعدا ذلك فارسلوا عساكرهم بقصد الحرب مع سعادته بالطريق ففي سهل قرية الزراعه حصلت المقابله ودارت رحا الحرب مع عساكرنا الخياله فقط وهم الاى جهاديه خيل مع باقي خيال العرب واما الجهاديه المشاه ما تحركوا لهذا الحرب ابداً وبحمد الله ومنته عساكر الاعدا ما قدرت على الثبات اكثر من ساعه وحاق بها الوبال وبيس المآل وولوا الادبار ونادى مناديهم الفرار الفرار فعند ذلك لحقتهم العساكر المنصوره وظفرت بهم ظفر الاسود الكواسر وجملة الذي قتل من الاعدا ينيف عن مايتين نفس غير المجاريح واخذ منهم ثلاثماية حصان ومن العساكر المنصوره فقد خيال واحد من الجهاديه وجرح خيال من العرب وجرحه سليم ومن حيث ان هذه البشره توجب السرور لكافة عبيد سعادة افندينا ولي النعم ورعاياه وان شاء الله هي اول بشاير انتصارات سعادته اقتضى بشرناكم بها ليكون معلومكم ذلك وتداوموا على تادية الدعا بدوام وتابيد دولته السنيه في ١٩ ق سنة ١٢٤٧

ابراهيم

الختم مير ميران وكيل سر عسكر مصر حالا

---

(١) اي الشيخ حسين عبد الهادي كما سيجيء بك

فتح عكا : افتخار الاماجد والاكارم حاوي صنوف المكارم[1] بربر زاده السيد مصطفى اغا متسلم محروسة طرابلس الشام حالاً . بعد السلام المنهي اليكم انه امس تاريخه يوم الاحد المبارك قد هجمت عساكرنا المصرية الظافرة بالقوة والسطوة القاهر[ة] علي عكه المندكه وبالحال صعدوا الى اسوارها وتملكوها ووطئوا ابراجها الرفيعة بارجلهم وداسوها بقوة الحرب والنار الدايمة ولما ان الاعدا لم يتملكوا الطاقة للثبات امام عساكرنا ولم يحتملوا شدة حربنا في الحال رفعوا الرايات وطلبوا الامان ومن حيث ان العفو صدقة الظفر فمرحمة منا علي الجريم والاطفال وفقرا الاهالي الذين داخل عكا قد انعمنا بالامان والراي[2] الى الجميع واخرجنا عبدالله باشا وكتخداه ودايرته الى اوردينا المنصور واستولينا علي عكه عنوة وقهراً والحمد لله رب العالمين فلاجل اعلان هذه البشرى الموجبة السرور والافراح الى الجميع حررنا لكم مرسومنا هذا من ديوان معسكر عكا لتعلنوا مضمونه بالشنك والسرور وتداوموا على الدعوات الخيرية بدوام دولة افندينا ولي النعم والدنا المعظم في ٢٨ ذي الحجة سنة ٤٧

بختم سعادة الدستور الجسور
الحاج ابراهيم باشا المعلوم

الشام وحلب : قدوة القضاة والحكام معدن الفضل والكلام مولانا الحاكم الشرعي بمحروسة حلب الشهباء حالاً افندى زيد فضله وافتخار العلماء الكرام ذوى الاحترام الماذون بالافتي بها حالاً افندى زيد علمه وفرع الشجرة الزكيه وطراز العصابة الهاشمية قائمقام السادة الاشراف بها حالاً زيد شرفه وافتخار الاماجد والاعيان ذوى القدر والاحترام والشان امراء . . . وعلماء وخطبا ووجوه ومعتبرين حلب بوجه العموم يحيطون علماً بعد السلام التام بمزيد الاعزاز والاكرام المنهى اليكم انه لقد خرجنا من مصر القاهره بالعساكر الوافرة الظافره واتينا عكا ذات الاسوار

(١) ولعلها كانت في الاصل هكذا : حاوي صنوف المحامد والمكارم كما في سائر الرسائل الى مصطفي اغا بربر (٢) راي التركية

الشامخه والابراج الراسخه وجعلنا عساكرنا حولها كانها البنيان المرصوص يقاتلون في سبيل الله صفا و . . . ومدافعنا على اسوارها العريض جدارها يسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً [١] فدخلناها عنوةً بالعز والنصر وقبضنا على اميرها عبدالله باشا وارسلناه اسيراً لمحروسة مصر ومن ثم اتينا الشام ذات الابتسام فلاقتنا بوجه عبوس واردات محاربة عساكرنا الضراغمة الشوس فلم يكن اقل من ساعة [حتى] دخلوا جميعاً تحت نير الاطاعة فدخلناها بسلام بعد التسليم وتلى سيفنا على نار فتنة هذه الاقطار يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم [٢] وقد بلغنا بانه موجود بعض باشاوات ومعهم عساكر متحشدين في حماه وتلك الجهات فاننا سنجد وراهم بالطلب ولا بد بانهم سيركنون الى الهرب ويقصدون حلب فايا كم تقبلوهم في بلدتكم او تمكنوهم يتوطوا خطة في مدينتكم ولا تغرنكم الحرباء بقرنيها ولا تظنوا بان الحرباء تعيق الشمس بعينيها فمن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الاسد في آجامهم تجم والسلام

معركة حمص : قدوة وافتخار الاماجد الكرام ذوي المجد والاحترام متسلم طرابلس الشام حالا بربر زاده السيد مصطفى اغا زيد مجده غب التحية والتسليم بمزيد الاعزاز والتكريم المبدي اليكم انه امس تاريخه نهار السبت المبارك الواقع في ٩ شهر صفر سنة ٤٨ الساعة في السبعه من النهار قد كان ابتدا وصول عساكرنا المنصوره التي بمعية ركابنا الى بحرة حمص وفي تلك الساعه نفسها نظروا قدومنا العساكر الخيل التركيه المتحشدين بمعونة الباشاوات بمدينة حمص وحالا هجمت عليهم العساكر المنصوره خيالة الجهاديه والعرب وضربوهم [وشتتوا] شملهم واذاقوهم كؤس الوبال والنكال فقد ولوا محاربين والى النجاة طالبين فاتبعوا اثارهم عساكرنا المظفره فظهر امامهم اربع الايات عساكر نظام استيانيه ليه [٣] قرابه [٤] وثلاث الايات خيالة فعند ذلك تقدمت لمحاربتهم باقي العساكر المنصوره وترتبت الصفوف على الرسم البديع وهجموا عليهم هجوم الاسود

---

١) يسألونك عن الجبال كما في سورة طه لا عن الحال كما في مخطوطة الاباء اليسوعيين
٢) وسلاماً كما في سورة الانبياء لا وسلام منا كما في مخطوطة الاباء اليسوعيين
٣) ولعلها في الاصل هكذا : استانه يه (٤) بفتح الراء وتشديدها

الكواثر واذاقوهم كوسا المنايا بطعن الحرب وفتك السيوف البواثر ولم يحتملوا سوى ساعة واحده الا وولو الادبار صارخين الفرار الفرار من بعد ان وقع منهم ما بين قتيل ومجروح ينوف عن الف وخمسماية نفر واخذ منهم اسري بمسك اليد ما ينوف عن الفين وخمسمايه من ضمنهم ارطتين قد كانوا ابقوهم في قلعة حمص للمحاصره عندما كانو عزمو علي الهرب مع جانب عساكر ارناوود بمجرد حلول ركابنا في اردي الباشاوات الفارين في صحرا حمص واستيلانا على اطوابهم وخيامهم وجبخاناتهم وساير ذخايرهم وصاروا جميعهم غنيمة لنا فالارطتين والعساكر الارناوود الذين كانو في القلعه عندما نظرو هذا الهول المريع والظفر البديع استغاثو وطلبو الامان فحيث ان العفو زكاة الظفر قد اغثناهم ومرحمة منا اعطيناهم الامان وخرجو من القلعه امنين مطمانين فنحمده تعالي علي هذه النعمة العظيمة والموهبة الكبيرة الجثيمة فالان لاجل تبشيركم اصدرنا لكم مرسومنا هذا فيلزم منكم بوصوله تشهرو ذلك الي كافة الرعايا بعمل شنك واعلان البشاير الي ساير المقاطعات والبلاد لكي يكونو جميعهم دايما متبادرين علي تادية الدعا الخيري بدوام دولة وتابيد صوله سعادة افندينا والدنا المعظم وقهر اعداه المخذولين علي ممر الايام والسنين اعلموه في ١٠ ص سنة ٤٨

الحاج ابراهيم
سر عسكر مصر

بشرى باخذ حلب : افتخار الاماجد والاكارم حاوي المكارم بربر زاده السيد مصطفى زيد مجده غب التحية والتسليم بمراسم الاعزاز والتكريم المنهي اليكم مقدما جتوه لكم مرسوم افاده عن حلول ركابنا في حمص بعد ضرب الباشاوات الذين كانو محشودين بها وقتل ومسك اسرا من عساكرهم ينوف عن اربعة الاف نفر وحروبهم بما بقي معهم وفي اثني توجههم بالطريق صودف حضور حسين باشا السردار القادم من الاستانه لمعاونتهم بما معه من العساكر وترافقوا سوية حتى اسرعوا بالدخول لمحروسة حلب وقصدو واستنجدو اهليها الضعفا وطلبوا منهم ان يعانوهم علي محاربتنا فجاوبوهم

بالواقع انهم ما لهم اقتدار علي مقابلة عساكرنا المنصوره وهم رعية لمن غلب واما نحن بقينا لاحقينهم بقطع دابرهم على الخصوص عندما طرق مسامعنا قدوم السردار المذكور تزايد اشتداد عزمنا ومن شدة خوفهم وجزعهم وانواع المذلة التي استولت عليهم كانو يسيرو الليل قبل النهار وكذلك في اثنا مرورنا بالطريق كل ما حل ركابنا في مرحله نجد جانب عساكر من عساكرهم ويحضرو لدينا طالبين الامان ويحوزونه مرحمة بهم وفي يوم وصولنا الي مرحلة برنا وزيتا الذي هو يوم الاحد الواقع في ١٧ ص سنة ٤٨ كان بلغ الباشاوات المذكورين قدومنا فتزايد عليهم الوهم والخوف وما امكنهم الثبات ولا ساعة واحده وليلة اليوم المذكور تركو خيامهم وجبخاناتهم ومدافعهم وساير ذخايرهم وتحت جنح الظلام ولو هاربين والي النجاه طالبين وعندما طرق مسامعنا ذلك ركبنا بالعساكر السواريه فقط وبحلول ركابنا بمحروسة حلب الشهبا وجدنا من عساكرهم مقدار الف نفر فمسكناهم جميعاً باليد ثم علما ووجوه واهالي البلده حضرو لدينا مقدمين الاطاعه ومن بعد تامينهم دخلت عساكرنا الظافره واستولت علي المدينه وكافة موجودات الباشاوات الفارين ونحن لم نزل مصممين النيه ان نقتفي اثرهم ونقطع دابرهم عن اخرهم وبقدرة البارئ تعالى لابد من الحصول على ذلك لكي نجعلهم احدوثة بين الامم تنسي ذكر عاد وثمود ونورثهم العدم من هذا الوجود ولاجل بشارتكم بذلك وبهذه الانتصارات الجليلة اصدرنا مرسومنا هذا فيلزم بوصوله اعلانه علي كافة الرعايا ليكونو مداومين بتادية الدعوات الخيرية بدوام دولة وتابيد صولة سعادة افندينا ولي النعم عزيز مصر القاهرة والدنا المعظم مدى الايام اعلمو ذلك واعتمدوه

الحاج ابراهيم
والي جده وسرعسكر مصر

في بيلان : افتخار الاماجد والاكارم حاوي المحامد والمكارم متسلمنا بمحروسة طرابلس الشام حالا بربر زاده السيد مصطفي اغا زيد مجده غب التحية والتسليم بمراسم الاعزاز والتكريم المنهي اليكم انه يوم الاحد المبارك الواقع في٢٧ص سنة٤٨ قد توفق حلول ركابنا في العساكر المنصوره الى مرحلة قراموط لاجل ضرب وتدمير عساكر الدشمان المتحشدين في بوغاز بيلان والساعه سته من النهار المذكور قد تحرك ركابنا من المرحلة المذكوره بالعساكر المنصوره والاطواب المهوله وبحيث ان البوغاز المتحصنين به بالقرب الى المنزلة التي حل ركابنا بها وفي الساعه تسعه من النهار كان المصادفه من عساكر الدشمان وابتدا ضرب الاطواب عليهم وبوجود تحصنهم بعمل الطوابي وعسر الطرقات فمع هذا جميعه ما افادهم شيء سوى انه في مسافة ساعتين الذي تبقى منهم من بعد الذي قتل واخذ اسير بمسك اليد ما بين جريح وسليم قد فرو هاربين وللنجاة طالبين مهرولين الى ناحيه ادنه عن طريق اسكندرونه وتركو اطوابهم وموجوداتهم وعند ذلك امرنا بتوجيه العساكر السواريه المنصوره الجهاديه وخيالة العرب لاجل اتباع اثرهم ومسكهم جميعهم بحيث لا ينفد منهم احد وبحوله تعالى لا بد من الحصول علي المراد وتدمير الجميع فبناء علي ذلك اصدرنا لكم مرسومنا هذا لكي بوصوله تعلنو هذه البشاره الي ساير المقاطعات [ليكونو] جميعا حايزين السرور والحبور على هذه النصرة العظيمه والمنة الجثيمة ويكونو مداومين بالدعوات الخيرية بدوام هذه الدوله السعيده وحفظ وجود سعادة افندينا ولي النعم والدنا الاعظم صاحب السعاده علي ممر الايام اعلمو ذلك واعتمدوه غاية الاعتماد

الحاج ابراهيم
والي جده وسر عسكر [مصر]

اثبات الاصلية : اذا اعدنا النظر في رسالة ابراهيم باشا الصغير الى الشيخ حسين عبد الهادي وتاملناها تاملاً ملياً وجدنا حبرها حبر رسالة هذا الباشا الى الحاج احمد اغا متسلم صيدا وقتئذٍ[1] . ومع ان ورق الاولى ارق من ورق الثانية فان الاثنين من نوع واحدٍ اعني به الصكوكي القديم . والاثنان استعملا في معسكر الجيش المصري آنئذٍ . وكذلك فان امضاء الرسالة الاولى هو امضاء الرسالة الثانية بالضبط نصاً وخطاً . فانك لو طلبت نص امضاء الاولى وجدته هكذا : « ابراهيم » في السطر الاول و « مير ميران وكيل » في السطر الثاني تحته « وسر عسكر » في السطر الثالث و « مصر في الرابع و « حالاً » في الخامس والاخير . وهكذا نص امضاء الثانية وترتيبه بالضبط . ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد كتابة الالف الثانية في الاسم ابراهيم فانها معقوفة عقفة واحدة في التوقيعين على السواء . وكذلك «شحطة» الكاف في كلمة سر عسكر فانها في التوقيعين تمتد الى السطر الثاني الذي هو فوقها وتفصل بين الراء والالف في كلمة مير ميران . وهكذا الختم ايضاً فانه واحد في الرسالتين على ما نعلم . ولا يخفى ان الرسالتين مختلفتا الغرض والتاريخ والموضع ومع هذا كله فانهما متفقتان في الحبر والامضاء والختم كما تقدم . اضف الان الى هذا كله ان عنوانَ هذه الرسالة وطريقةَ تأريخها هو عنوان رسائل ذلك العصر وتأريخها ايضاً . وان محتوياتها توافق بوجه الاجمال محتويات المناشير الافرنسية الرسمية التي صدرت من المعسكر المصري وقتئذٍ والتي لا تزال محفوظة حتى الان في تواريخ كادلفان ، وبارو ، وغوان

وكذلك بشائر الباشا الكبير الى اهالي طرابلس عن فتح عكة واخذ حمص وحلب وبيلان فانها في الارجح اصيلة وذلك لانها لا تزال موجودة في سجلات المحكمة

---

(١) هذه رسالة من ابراهيم باشا الصغير الى الحاج احمد اغا بتاريخ رجب ١٢٤٧ هـ . وهي لا تزال محفوظة حتى الان في مكتبة جامعة بيروت الاميركية . والغرض المقصود منها ان يعفي دير المخلص من بعض رسوم الجمارك ومن السخرة ايضاً

الشرعية بمدينة طرابلس ولسائر الاسباب التي خولت لنا هذا الاستنتاج في امر رسائل عبدالله باشا الى اهالي البيت المقدس ودمشق

اما رسالة ابراهيم باشا الى اهالي حلب فاننا وجدناها في مجموعة رسائل صغيرة في مكتبة الاباء اليسوعيين في بيروت ، والمجموعة هذه مجهولة الجامع والناسخ . وقد عنونها المرحوم الاب لويس شيخو هكذا : « تحارير ورسائل الشيخ عبود البحري » . غير انه اقر لنا قبل وفاته انه لم يعطها هذا العنوان الا لورود بعض رسائل عبود فيها . وهي -- اي المجموعة — بلا شك من مخطوطات الربع الاخير من القرن الماضي بدليل الورق ومحتويات بعض رسائلها . وقد ترددنا ولا نزال نتردد في صحة اصلية الرسالة التي نحن بصددها لانها كما اتضح اعلاه مفقودة الاصل مجهولة الناسخ والتاريخ ولاننا لم نجد لها ذكراً في سجلات المحكمة الشرعية بمدينة حلب ولا في الاصول الافرنسية التي لا تزال تحفظ لنا الباقي من مناشير الباشا ورسائله . وقد استغربنا ورود الآيات القرآنية فيها ولا سيما وان معظم ما نعرفه من رسائل ابراهيم باشا في سورية خالٍ من الآيات مشبع بالتعابير الدارجة . فهو يقول الى الشيخ سليمان عبد الهادي بتاريخ ١٢ جمادى الاولى سنة ١٢٥٠ ما نصه :

« وبعد الان انت الذي تبقى السبب في تبويظي مع الشيخ حسين[1] » .

وهكذا فانه قال الى فرج اغا متسلم حماه بتاريخ ٣ محرم سنة ١٢٥١ ما نصه ايضاً :

« انما نحن لم موجود عندنا اقجه قديمه حتى انه لم يهون علينا نبوظها بل موجود عندنا اقجه فراطه يهون علينا نصرفها يقتضى تخبرونا عن النقديه الذي لازماكم مقدار ايش حتى نفهم مطلوبكم[1] » . هذا ولا يخفى انه لا يجوز للمؤرخ اليوم ان يستعمل محتويات رسالة كهذه ما لم يتمكن من اثبات اصالتها الاثبات العلمي المروم . ولا يقدح في قولنا هذا كلام معترض اننا لم نثبت تزويرها اذ اننا في الابحاث التاريخية

---

(١) اطلب مجموعة جامعة بيروت الاميركية تحت سنة ١٢٥٠

(١) مجموعة جامعة بيروت الاميركية سنة ١٢٥١

لا نقول مع رجل القانون « البينة على من ادعى » بل نعتبر كل الحقائق ظنينة حتى نتثبت من صحتها

المحتويات واهميتها : كنا نود لو كان بامكاننا ان نطلع على تقارير القواد العثمانيين قبل البت في امر محتويات بشائر القائد المصري . ونرانا مضطرين تحت هذه الظروف ان نرجيء اثبات بعض ما تتضمنه هذه الاوراق من الحقائق الى ان يتسنى لنا الوقوف على مضمون الوثائق التركية لا سيما وروايات المؤرخين بارو وكادلفان وفولابال وغوان تعتمد بوجه الاجمال على تقارير الباشا المصري وكذلك المؤرخون الوطنيون فانهم اشتهروا بانتمائهم الى الامير بشير الثاني وحليفه ابراهيم باشا المصري